محاضرات مادة تاريخ الاندلس

المرحلة الثانية

كلية التربية للبنات – قسم التاريخ

جامعة بغداد

أ.د. وجدان فريق عناد **أ.م.د. بان علي محمد**

المحاضرة الاولى: الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية

- **من اهم دوافع الفتح العربي الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية (٩٢ هـ/ ٧١١م)**

١-نشر الاسلام في تلك البلاد

٢-انقاذ المجتمع من الظلم والعبودية بسبب سوء الاحوال العامة.

٤-حماية الانجازات التي تحققت في شمال افريقية وابعاد المخاطر الخارجية عنه شمال المغرب الاسلامي .

- **التعليمات الاساسية في كل فتح**

الحصول على موافقة الخليفة واقناعه بالمهمة ووضع الخطة العسكرية المحكمة للفتح واعداد واختيار المقاتلين المتحمسين للفتح والقادة البارزين وتجهيز الاسلحة الدفاعية والهجومية الخفيفة والثقيلة، الاتصالات السرية وبث العيون والطلائع والصبر والمطاولة بالقتال.

-حملة طريف بن ابي زرعة المعافري

بناءً على توصيات الخليفة الوليد بن عبدالملك عبرت اول حملة استطلاعية في (٩١هـ/ ٧١٠م) بقيادة طريف مكونة من ٥٠٠ مقاتل بواسطة مراكب حاكم سبتة خوليان ونزلت الحملة في الموضع الذي عرف باسمه حتى يومنا هذا بمدينة طريف.

- **ابرز نتائج الحملة الاستطلاعية للقائد طريف بن ابي زرعة المعافري:**

١-حققت الحملة النجاح في الوصول الى هدفها .

٢-التاكد من حسن نوايا حاكم مدينة سبتة.

٣-التعرف على سوء احوال شبه الجزيرة الايبيرية.

٤- ساعدت الحملة على اقناع الخلافة الاموية والوالي موسى بن نصير لبدء الاعداد لحملة عسكرية .

بعد تلك الحملة عبر القائد طارق بن زياد ليقود معركة وادي لكة التي حدثت في (رمضان ٩٢ هـ / ١٩ حزيران ٧١١ م) وانتصر المسلمون فيها ، ومن بعدها أصبح الطريق مفتوحًا أمام طارق بن زياد وموسى بن نصير لفتح المدن الكبرى ، وتلك المعركة كانت نقطة تحول فاصلة في تاريخ الأندلس .

بعد تلك المعركة أصبح الطريق لفتح البلاد ممكنا ودون مقاومة كبيرة ، وبعد ثلاث سنوات (٩٥هـ / ٧١٤م) غادر القائدان موسى بن نصير وطارق بن زياد الاندلس ، وقد نجحا في فتح بلاد كبيرة ، الا الركن الشمالي الغربي الذي يعرف بـ (اشتوريش) من منطقة جليقية فكانت النواة لتجمع بقايا القوط ومن ثم المنطلق لما عرف بالتاريخ بحرب الاسترداد .

- **العصور التاريخية الاندلسية (٩٢- ٨٩٧هـ/ ٧١١- ١٤٩٢م)**

قسم المؤرخون التاريخ الأندلسي على ثمانية عهود هي:

١- عهد الفتح (٩٢- ٩٥هـ/ ٧١١- ٧١٤م)

٢- عهد الولاة (٩٥- ١٣٨هـ / ٧١٤- ٧٥٥م)

٣- عهد الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥- ٩٢٩م)

٤- عهد الخلافة (٣١٦- ٤٢٢هـ/ ٩٢٩- ١٠٣١م)

٥- عهد الطوائف (٤٢٢- ٤٨٤هـ/ ١٠٣١- ١٠٩١م)

٦- عهد المرابطين (٤٨٤- ٥٣٩هـ/ ١٠٩١- ١١٤٥م)

٧- عهد الموحدين (٥٤٠- ٦٣٢هـ/ ١١٤٥- ١٢٣٢م)

٨- عهد مملكة غرناطة (٦٣٥- ٨٩٧هـ/ ١٢٣٨- ١٤٩٢م)

المحاضرة الثانية : عهد الولاة في الأندلس

يمثل عهد الولاة في الأندلس (٩٥-١٣٨ هـ / ٧١٤-٧٥٥ م) حقبة تاريخية هامة في تاريخ شبه الجزيرة الايبيرية، كان ذلك العصر غنيًا بالأحداث والتطورات التي تركت بصماتها العميقة على التاريخ الأندلسي.

بدأ عهد الولاة بعد ان اكتمل الفتح الإسلامي للأندلس بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير. كانت المهمة الأولى لهؤلاء الولاة هي ترسيخ أركان الحكم الإسلامي.

وعلى الرغم من الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية، إلا أنهم حققوا إنجازات مهمة شكلت الأساس لما تلاها من ازدهار شهدته العهود التاريخية التالية منها : التنظيم الاداري فقد قسّم الولاة الأندلس إلى كور ومقاطعات، وعيّنوا حكامًا وولاة عليها ، و أعاد الولاة إعمار العديد من المدن ، وشيدوا مدنًا جديدة. اهتموا بتحسين الطرق والقنوات المائية ونظم الري، مما ساهم في ازدهار الزراعة .

ادخلوا محاصيل جديدة وتقنيات ري متطورة، كما نشطت التجارة الداخلية والخارجية. فضلا عن تنظيم النظام الضريبي بشكل فعال فقد تم إنشاء جهاز إداري فعال لجمع الضرائب وتنظيم شؤون البلاد.

وانتهجوا التسامح الديني مع السكان الأصليين من المسيحيين واليهود، فمنحوهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية مقابل دفع الجزية ، وشهد هذا العهد هجرات متتالية للمسلمين من الشام وشمال إفريقيا، مما ساهم في تشكيل نسيج اجتماعي جديد. وسعوا لتوسيع نفوذهم ورغم أن هذه المحاولات لم تُكلل بالنجاح ، لاسيما بعد معركة بلاط الشهداء في (١١٤ هـ / ٧٣٢م) إلا أنها أظهرت طموحهم وقوتها العسكرية.

كان عهد الولاة بمثابة المرحلة التأسيسية لتاريخ الأندلس و الذي انتهى مع وصول عبد الرحمن الداخل في(١٣٨ هـ / ٧٥٥ م) وتأسيس الإمارة الأموية .

ويمكن تحديد ابرز مميزات عهد الولاة في الاندلس بما يأتي :

١- استمرار الجهود العسكرية لإكمال الفتح الأندلس

٢- اتخاذ قرطبة عاصمة للأندلس بدلاً من طليطلة.

٣- إلغاء الطبقية ونشر الحرية العقائدية في ممارسة المعتقدات الدينية.

٤- الجهاد ضد القوى غير الإسلامية ولاسيما في المناطق الحدودية.

٥- يمثل نقطة انطلاق لترسيخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

٦- الاصلاحات العمرانية والادارية والعسكرية والاجتماعية.

- السمح بن مالك الخولاني (١٠٠- ١٠٢هـ)

ذكرنا هذا الوالي ليكون مثالا عن الولاة البارزين في ذلك العهد . وكانت له عدد من الاصلاحات الادارية والمالية العمرانية منها اعادة بناء سور قرطبة وقنطرتها استشهد سنة ١٠٢هـ

- **تسلسل الولاة الأندلسيين**

اتفقت معظم الدراسات التاريخية على ان طارق بن زياد وموسى بن نصير هم قادة عسكريين في عهد الفتح ، غادروا الاندلس بعد انتهاء العمليات العسكرية ، أما عصر الولاة فيبدأ من عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير

١- عبد العزيز بن موسى بن نصير(٩٥هـ - ٩٧ هـ / ٧١٤ م - ٧١٦ م)

٢- أيوب بن حبيب اللخمي٩٧) . هـ / ٧١٦ م(

٣- الحر بن عبد الرحمن الثقفي٩٧) هـ - ١٠٠ هـ / ٧١٦ م - ٧١٨ م(

٤- السمح بن مالك الخولاني (١٠٠هـ - ١٠٢ هـ / ٧١٨ م - ٧٢١ م)

٥- عبد الرحمن الغافقي (١٠٢هـ / ٧٢١ م)

٦- عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٢هـ - ١٠٧ هـ / ٧٢١ م - ٧٢٦ م)

٧- عذرة بن عبد الله الفهري (١٠٧هـ / ٧٢٦ م(

٨- يحيى بن سلامة الكلبي (١٠٧ - ١٠٩ هـ / ٧٢٦ م - ٧٢٨ م(

٩- حذيفة بن الأحوص القيسي (١٠٩هـ / ٧٢٨ م)

١٠- هيثم بن عبيد الكلابي (١٠٩هـ - ١١٠ هـ / ٧٢٨ م - ٧٢٩ م)

١١- محمد بن عبد الله الأشجعي ١١٠) هـ/ ٧٢٩ م)

١٢- عبد الرحمن الغافقي(١١٢ - ١١٤ هـ / ٧٣٠ م - ٧٣٢ م)

١٣- عبد الملك بن قطن الفهري (١١٤هـ / ٧٣٢ م)

١٤- عقبة بن الحجاج السلولي (١١٤هـ - ١٢٠ هـ / ٧٣٢ م - ٧٣٨ م(

١٥- عبد الملك بن قطن الفهري(١٢٠ - ١٢٢ هـ / ٧٣٨ م - ٧٤٠ م)

١٦- بلج بن بشر القشيري(١٢٢ - ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م - ٧٤١ م)

١٧- ثعلبة بن سلامة العاملي(١٢٣ - ١٢٤ هـ / ٧٤١ م - ٧٤٢ م)

١٨- أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي (١٢٤ - ١٢٧ هـ / ٧٤٢ م - ٧٤٥ م)

١٩- ثوابة بن سلامة الجذامي (١٢٧ - ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م - ٧٤٦ م(

٢٠- يوسف بن عبد الرحمن الفهري (١٢٨ - ١٣٨ هـ / ٧٤٦ م - ٧٥٦ م)

المحاضرة الثالثة : عصر الامارة في الاندلس

يعود تأسيس الدولة الاموية في الاندلس إلى عبد الرحمن الداخل، أحد أمراء بني أمية الذين فروا من الشام بعد سقوط دولتهم على يد العباسيين. وقد استطاع عبد الرحمن الداخل بناء دولة قوية في الأندلس وكان الفرار من الاضطهاد العباسي هو السبب وراء عبور الداخل للأندلس ، وكان عبوره فتح لعهد جديد، فقد عدّ عهد الإمارة في الأندلس مرحلة تاريخية هامة في التاريخ الاندلسي حيث شهدت الاندلس ازدهارًا حضاريًا وسياسيًا كبيرًا. بدأ هذا العهد مع وصول الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل، حيث كانت الأندلس تعيش حالة من الفوضى والنزاعات بين القبائل العربية والبربرية.

لقد استطاع عبد الرحمن الداخل بذكائه ودهائه وقدرته العسكرية أن يوحد الفصائل المتناحرة، ويهزم آخر الولاة، يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وبدأ بذلك عصر الإمارة الأموية في الأندلس.

من مميزات عصر الامارة الاستقلال السياسي عن الخلافة العباسية في بغداد، و فيه شهدت الأندلس سلطة مركزية قوية، مما سمح بالاستقرار اللازم للبناء الحضاري.

غدت قرطبة مركزًا حضاريًا وعلميًا لا مثيل له في أوروبا لأن عهد الإمارة شهد ازدهارًا علميًا وفكريًا حيث ازدهرت الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والشعر والأدب. وفيه نشطت الحركة العمرانية ومنها بناء المساجد الكبرى مثل الجامع الأموي بقرطبة والمدارس والمكتبات ، كما ازدهرت الزراعة بفضل أنظمة الري المتطورة، والصناعة (خاصة النسيج والمعادن)، والتجارة التي ربطت الأندلس بالمشرق وأفريقيا وأوروبا.

-قائمة أمراء الأندلس الأمويين:

١- عبد الرحمن الأول الداخل (١٣٨-١٧٢ هـ / ٧٥٥ م - ٧٨٨ م)

٢- هشام الأول الرضا): ١٧٢- ١٨٠ هـ / ٧٨٨ م - ٧٩٦ م)

٣- الحكم بن هشام الاول الربضي (١٨٠- ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ م - ٨٢٢ م)

٤- عبد الرحمن بن الحكم الثاني الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ م - ٨٥٢ م)

٥- محمد الاول بن عبد الرحمن الاوسط (٢٣٨- ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ م - ٨٨٦ م(

٦- المنذر بن محمد (٢٧٣- ٢٧٥ هـ / ٨٨٦ م - ٨٨٨ م)

٧- عبد الله بن محمد) ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ م - ٩١٢ م)

٨- عبد الرحمن بن محمد (عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله) (٣٠٠- ٣١٦ هـ / ٩١٢ م - ٩٢٩ م)

انتهى عهد الإمارة ليبدأ عهد الخلافة في عام (٣١٦ هـ / ٩٢٩ م) عندما أعلن الأمير عبد الرحمن الناصر لدين الله نفسه خليفة، فبدأ بذلك عهد جديد من القوة والنفوذ والازدهار الذي استمر حتى سقوط الخلافة في الفتنة البربرية.

المحاضرة الرابعة : عهد الطوائف في الأندلس

هو احد العهود التاريخية الاندلسية عانت فيه الاندلس من التجزئة السياسية حيث شهدت ظهور عدد من الدويلات المتناحرة فيما بينها بعد انتهاء عهد الخلافة الأموية الاندلسية .

بعضها كبير وقوي، وبعضها الآخر صغير وضعيف. تنافست هذه الدويلات بشدة على النفوذ والأراضي، وغالبًا ما كانت تتحالف فيما بينها أو مع الممالك المسيحية ضد بعضها البعض. مما أضعف قوتهم وسهل على الممالك المسيحية فرض الجزية عليهم مقابل عدم الهجوم.

من أبرزها إشبيلية: بنو عباد ، غرناطة: حكمها بنو زيري ، طليطلة: حكمها بنو ذي النون، سرقسطة: حكمها بنو هود ، بطليوس: حكمها بنو الأفطس.

وعلى الرغم من الفوضى السياسية والتناحر المستمر، فقد شهد عهد الطوائف ازدهارًا ثقافيًا وعلميًا بسبب تنافس ملوك الطوائف على رعاية العلماء والأدباء والفنانين لجذبهم إلى بلاطهم ورفع مكانة دولتهم. كانت كل عاصمة صغيرة تسعى لتكون مركزًا ثقافيًا يضاهي قرطبة.

أدرك ملوك الطوائف أنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم بمفردهم. وان الممالك المسيحية في الشمال تزداد قوتها ولاسيما بعد سقوط طليطلة، في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة. لذلك استنجدوا بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين الذي أدرك ضعف وتفكك ملوك الطوائف، وقرر في عبوره الثالث أن يوحد الأندلس تحت راية المرابطين ونجح في ذلك ، وأصبحت الأندلس ولاية المرابطين. وانتهى بذلك عهد الطوائف الاول .

وبعد انتهاء حكم دولة المرابطين، عادت الأندلس لتشهد فترة من التجزئة السياسية والضعف، حيث ظهرت دول الطوائف الثانية المتناحرة، مثلما حدث بعد سقوط الخلافة الأموية. هذه الدويلات كانت ضعيفة عسكريًا واقتصاديًا، وكثيرًا ما استنجدت بالممالك المسيحية في الشمال ضد بعضها البعض، مما أضعف قوتها أكثر وجعلها هدفًا سهلاً للممالك المسيحية.

استغل الموحدون هذا الضعف، وعبروا إلى الأندلس بهدف توحيد الإمارات الإسلامية لمواجهة التهديد المسيحي المتزايد. وتمكنوا من ضم العديد منها تحت حكمهم الموحد. كان الهدف

الرئيسي هو إعادة القوة الإسلامية في الأندلس وتوحيد الصفوف ضد الخطر المسيحي، ونجحوا في ذلك، فانتهى بذلك عهد الطوائف الثاني.

ولابد من الإشارة إلى نتائج خسارة الموحدين لمعركة العقاب التي أظهرت الانهيار التدريجي لدولتهم في الأندلس وسببت تفككها مرة أخرى ولكن لم تشهد ظهور دويلات طوائف متعددة وكبيرة كما حدث في العهود السابقة ، وإنما ظهرت مملكة غرناطة التي تمتعت بقوة نسبية وإلى جانبها ظهرت بعض الإمارات الصغيرة التي لم تكن قادرة على البقاء لأنها سقطت بيد الممالك المسيحية أو انضمت إلى غرناطة.

المحاضرة الخامسة :- اثر دول المغرب الإسلامي في تاريخ الأندلس.

لعبت دول المغرب الكبرى دورًا مؤثراً في تاريخ الأندلس ، فقد عبرت جيوشها إلى الاندلس ، وكان لهذا العبور اثر تاريخي واضح في تاريخ المنطقة . أما عن اسباب العبور فيمكن ان نحدد ابرز الاسباب بما يأتي :

- ضعف الحكام الاندلسيين فضلا عن الانقسام السياسي والتعاون مع الممالك المسيحية ضد بعضهم البعض فكان ذلك سببا في ضعف الاندلس مع غياب السلطة المركزية

- مع تزايد ضغط الممالك المسيحية على الممالك الإسلامية في الأندلس، استنجد ملوك الطوائف بالقوى المغربية للحصول على الدعم العسكري لإيقاف الزحف المسيحي وإنقاذ ما تبقى من الوجود الإسلامي في الأندلس.

- الجهاد في سبيل الله فضلا عن ان الدافع الديني يعزز من شرعية حكمهم ويدعم قواعد دولتهم.

- الرغبة في التوسع والنفوذ فكانت الأندلس فرصة لتحقيق هذا الهدف، ولاسيما بعد ان تمكنوا من فرض سيطرتهم على المغرب الاسلامي .

أما عن القوى المغربية التي اثرت في تاريخ الاندلس فهي :

١- دولة المرابطين :- كانت دولة المرابطين من القوى المغربية التي كان لها تأثير عميق ومباشر على الأندلس فقد استنجد بهم ملوك الطوائف في الأندلس بعد تفكك الخلافة الأموية الاندلسية ولاسيما بعد سقوط طليطلة ، لمواجهة التهديد المسيحي .

وما ان وصلت المراسلات لنجدة الاندلس حتى بدأ الجيش المرابطي بالعبور نحوها ، وتكرر ذلك العبور لاحقا لبسط نفوذهم على الأندلس وضم ممالك الطوائف. فضلا عن تعزيز الوجود المرابطي هناك . وكانت معركة الزلاقة) ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م) من اشهر معاركهم في الاندلس ،

ولكن الوجود المرابطي في الأندلس والمغرب انتهى مع ظهور دولة الموحدين التي نجحت في ان تحل محل المرابطين هناك .

٢- دولة الموحدين : بعد ضعف وسقوط دولة المرابطين، ظهرت دولة الموحدين في المغرب، ومؤسسها محمد بن تومرت ومن بعده عبد المؤمن بن علي، وما ان تمكنت من فرض سيطرتها على المغرب حتى وصلتها الوفود والمراسلات لنجدة الاندلس ، ولم يتأخر الحاكم الموحدي عن الاستجابة فعبر الجيش الموحدي إلى الاندلس ولم تكن اسباب العبور مختلفة عن ما ذكرنا ، فقد كان الهدف هو اكمال مهمة الدفاع عن الأندلس بعد ضعف المرابطين. والقضاء على بقايا ملوك الطوائف. والوقوف ضد التهديد المسيحي المتزايد بعد سقوط بعض المدن الأندلسية.

فكان العبور الاول بقيادة براز المسوفي في صيف (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) الذي نجح في تحقيق اهدافه، وتكرر العبور في السنوات التالية ، ومن اهم معاركهم التي سجلها التاريخ معركة الأرك (٩ شعبان ٥٩١ هـ / ١٩ تموز ١١٩٥ م) وفيها حقق الموحدون انتصارا تاريخيا ، اما المعركة الاخرى فهي معركة العقاب (٨ صفر ٦٠٩ هـ / ١٧ تموز ١٢١٢ م) التي خسروا فيها خسارة كبيرة . لقد انتهى حكم الموحدين في الأندلس بعد سلسلة من الهزائم وسقوط المدن .

٣- الدولة المرينية : التي شكلت قوة رئيسية في تاريخ المغرب الاسلامي والاندلس ، وكان لها دور بارز في جهادها ضد الممالك المسيحية. وكانت اسباب عبور جيوشهم الى الاندلس هي ذاتها التي دفعت المرابطين والموحدين للعبور قبلهم ، لقد بدأت القوات المرينية العبور في عام (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م (

عبر المرينيون إلى الأندلس في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (حكم ٦٥٦-٦٨٥ هـ / ١٢٥٨-١٢٨٦ م) الذي استجاب لنداء الاستغاثة من ملوك الأندلس.ونجحوا في جعل ملك قشتالة ألفونسو العاشر يطلب الصلح. كما شاركوا في الدفاع عن المدن الأندلسية، ومن أبرزها حصار الجزيرة الخضراء. وتعد معركة طريف (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) (معركة ريو سالادو) من أهم وأشهر المعارك التي خاضها المرينيون في الأندلس. كانت هذه المعركة كارثية

على المسلمين فقد انتهت بهزيمة ساحقة للمسلمين وتكبدوا خسائر فادحة، مما كان له أثر كبير في إضعاف الوجود الإسلامي في الأندلس.

وفي الختام نقول : هذه هي الدول المغربية التي عبرت جيوشها إلى الأندلس ، وربما يمكننا القول انها كانت السبب في استمرار الوجود الاسلامي هناك لأنها قامت بالدفاع عن ذلك الوجود.

المحاضرة السادسة :- معاهدة تسليم غرناطة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م

وقعت معاهدة غرناطة في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٤٩١م/ ٢١ محرم ٨٩٧هـ، ومنحت الغرناطيين جميع الحقوق الأساسية الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وختمت بتوقيع الملكين الكاثوليكيين ونالت موافقة البابا، ولكن على أرض الواقع لم تكن إلا حبراً على ورق وخدعة، الغاية منها ضمان استسلام المدينة بأقصر وقت وأقل التكاليف.

أسست تلك المعاهدة إلى مرحلة تاريخية جديدة، اتسمت بالتعصب الديني والعنصري، فالأندلسيين بعد سقوط غرناطة تعرضوا إلى الاضطهاد في كل جوانب الحياة، ومن ثم جاء قرار الطرد من بلادهم، ليتوج السلب الكامل لحقوقهم التي حفظتها تلك المعاهدة .

كانت معاهدة غرناطة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١ م من المعاهدات التي نظر إليها كمؤشر على نهاية العهود الإسلامية وبداية العصر الحديث، إلا أن مكانتها التاريخية تتعدى ذلك، فهي الوثيقة التي ضمنت حقوق الأندلسيين بعد استسلام المدينة، فكانت بنودها العكاز الذي يلجأ إليه الأندلسيين للوقوف إمام ظلم السلطة الحاكمة ومحاكم التفتيش.

غرناطة ومعاهدة التسليم

بعد سيطرة الإسبان على المناطق المحيطة بغرناطة، بدأ حصار المدينة في ١٢ جمادى الثاني ٨٩٦هـ/ ٢٣ نيسان ١٤٩١م الذي استمر سبعة أشهر، إذ عسكر الجيش على ضفاف نهر شنيل على بعد مسافة تقدر بفرسخين من المدينة، وبدأ الجيش بإتلاف المزارع وتخريب القرى والقلاع والحصون، ولجأ سكان تلك الأماكن إلى الاحتماء بسور غرناطة، ومن حجارة تلك القرى والحصون والقلاع بنى الملكان الكاثوليكيان ايزابيلا ملكة قشتالة وفرديناند ملك ارغون مدينة عسكرية سميت سنتفى (santafe) ومعناه الإيمان المقدس أو العناية المقدسة، وكان بناء تلك المدينة إشارة إلى أن الحصار سيطول ولابد من مدينة تحمي الجيش من برد الشتاء، فضلاً عن التأثير النفسي على سكان غرناطة، لأنه يعكس إصرار الملكان الكاثوليكيان على استئصال الوجود الإسلامي بشكل نهائي .

جرت خلال ذلك معارك بين فرسان غرناطة الذين يرون أن الموت أفضل من الاستسلام، فكانت لهم جولات قتالية مشرفة مع جيش النصارى، فكانوا يخرجون من المدينة المحاصرة ويشتبكون مع العدو، قدموا صورة من الشجاعة والإقدام، حتى أن الأعداء أشاروا إلى بطولتهم، إلا أن ذلك لم ينفع، فقد كان الملكان الكاثوليكيان مصرين على استئصال الوجود الإسلامي، فشددوا الحصار، فضلاً عن حلول فصل الشتاء، وانقطاع الطرقات ونقص المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار، فضعفت قدرة المدينة على الصمود، فضلاً عن فقدانها العديد من فرسانها الذين دافعوا عنها، ونتيجة لذلك التقى وفد من أهل غرناطة السلطان أبي عبد الله الصغير الذي لم يكن يملك غير إظهار الحزن والألم، وأمام تفاقم الأوضاع بدأت الحالة تسوء، وفوض السلطان الأمر إلى أعيان غرناطة، واتفقوا على مفاوضة الملكين الكاثوليكيين لتسليم المدينة، وكان الوزير أبي القاسم بن عبد الملك هو من وقع عليه الاختيار للقيام بتلك المهمة، وكان ذلك في ذي الحجة ٨٩٦هـ / تشرين الأول ١٤٩١م، فبدأ السعي من خلال المفاوضات إلى عقد هدنة بين السلطان أبي عبد الله الصغير والملكين الكاثوليكيين في ٢١ محرم ٨٩٧هـ/ ٢٥ تشرين الثاني ١٤٩١م.

أما من الجانب القشتالي فقد اختار فرناندو أمينه فرناندو دى ثافرا وقائده جونزالفو دى كُردبا وبدأت المفاوضات تجري بسرية شديدة أحيانا في غرناطة وأحيانا أخرى في قرية جرليانه القريبة من جنوب شرق مدينة سنتفى، وكان أبو عبد الله الصغير قد أرسل رسالة إلى الملكيين الكاثوليكيين بأن تكون المفاوضات سرية خشية من الغرناطيين .

استمرت المفاوضات بضعة أسابيع، وانتهت بتوقيع المعاهدة في ٢١ محرم ٨٩٧هـ/ ٢٥ تشرين الثاني ١٤٩١م ، التي ذيلت بتوقيع ملكي قشتالة، اللذين ضمنا بدينهما وشرفهما الملكي تنفيذ نصوص المعاهدة ويوقعانها باسميهما ويمهرانه بخاتميهما.

بنود معاهدة غرناطة

تضمنت تلك المعاهدة التي قررت مصير آخر القواعد الأندلسية (٦٧) بنداً وفق المصادر العربية، و(٥٦) بنداً وفق المصادر القشتالية ، تعهد فيه الملكان واقسما بدينهما على الالتزام ببنود المعاهدة، التي نصت على أن للمسلمين " تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم، ومنها إقامة شريعتهم على ما كانت عليه ولا

يحكم أحد عليهم إلا بشريعتهم، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحد ، وأن لا يولي على المسلمين نصرانياً أو يهودياً ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم، وأن يفتك جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا، ولاسيما أعيانا نص عليهم، ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه، والسلطان يدفع ثمنه لمالكه، ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع، ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم إلا الكراء، ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء، وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره، وأن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم، وأن من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى، فإن أبى الرجوع إلى الإسلام تمادى على ما أراد، ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب، ولا يؤخذ منه سلب من النصارى أيام العدوة، ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات، ولا يزيدون على المغارم المعتادة ، وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة، ولا يطلع نصراني السور، ولا يتطلع على دور المسلمين، ولا يدخل مسجداً من مساجدهم، ويسير المسلم في بلاد النصارى آمنا في نفسه وماله، ولا يحمل علامة كما يحمل اليهود وأهل الدجن، ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه، ومن ضحك منه يعاقب، ويتركون من المغارم سنين معلومة، وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده ، وأمثال هذا مما تركنا ذكره" .

وهكذا ضمنت هذه المعاهدة الحرية الشخصية، الحرية الدينية، الحرية الاقتصادية، وحريتهم في حياتهم الاجتماعية، ولكن اثبتت الاحداث التاريخية عدم الوفاء لعهودهم ومعاهداتهم، باختصار كانت حبراً على ورق

المحاضرة السابعة :- محنة الأندلسيين في ظل حكم الملوك الإسبان الكاثوليك

تمسك الاندلسيون بعد تسليم مدينة غرناطة بثقافتهم الوطنية فكانت محل اعتزازهم وعكازهم لاستمرارهم في مقاومة كل محاولات إذابتهم في المجتمع القشتالي، فشكلوا كياناً متميزاً مع التظاهر بالاندماج معهم خوفاً من الوقوع تحت طائلة محاكم التفتيش. ويبدو بشكل واضح من الاوامر الملكية الصادرة ضدهم انها سعت إلى طمس الهوية التاريخية عن طريق فرض العقوبات الجسدية القاسية الوحشية والعقوبات الاقتصادية لتجريدهم من ممتلكاتهم ، لأن رجال الكنيسة ومحاكم تفتيشها والسلطة الحاكمة أدركوا ان الأندلسيين حرصوا على الاحتفاظ بمظاهر ثقافتهم الاجتماعية وممارسة العادات والتقاليد ورفضهم الذوبان في الحياة الاجتماعية للمجتمع المسيحي الجديد. وان ذلك الاصرار يعكس الانتماء المتجذر بالأرض، كانوا قادرين على ايجاد الاسلوب والطريقة التي تمكنهم من المحافظة على هويتهم الاجتماعية وفقا لما تسمح به الظروف المحيطة على الرغم من المراقبة الدائمة والانتظار لأي قول او فعل يصدر مهما كان صغير وبسيط لتطبيق العقوبات ضدهم .

ومن تتبع الاوامر الملكية التي صدرت في عهد الملكين الكاثوليكيين ومن بعدهم من الملوك نجد ان ما يتصل بحياتهم الاجتماعية كان يزداد ويتفرع ليشمل كل الجوانب وادق التفاصيل، وسنذكر على سبيل المثال اهم الاوامر الملكية التي صدر في عهد الملكان.

- الملكان الكاثوليكيان

من أهم الاوامر التي صدرت ضدهم بعد تسليم مدينة غرناطة في عهد الملكين الكاثوليك

ما يأتي :

١- لا يسمح بأداء الزكاة ولا الذبح على الطريق الاسلامية

٢- يحرم اقتناء الكتب الدينية وخاصة القرآن الكريم

٣- منع المدجنين في غرناطة من شراء الاراضي والعقارات

٤- توطين الاسبان في اماكنهم

٥- مزج العناصر الاسلامية بالعناصر الاسبانية والهدف هو القضاء على هويتهم ولغتهم

٦- اصدار مرسوم يمنعهم من الاغتسال والاستحمام

٧- هدم كل الحمامات

٨- حرم عليهم حمل واستعمال السلاح

٩- صدر مرسومان سنة (١٤٩٥ و١٤٩٩ م) فرض على المدجنين دفع ضرائب باهضة.

١٠- في سنة (١٤٩٨ م) صدر قرار حول تقسيم سكان غرناطة وعزل المسلمين في اماكن محددة وحدود واضحة عن مناطق السكان الاسبان بهدف السيطرة عليهم ولاسيما عند قيامهم بالثورات.

١١- وبعد فشل الثورة الأندلسية الأولى أصدر فرناندو عام (١٥٠٨م) مرسوم ملكي يمنع الأندلسيين من استعمال اللغة العربية وممارسة التقاليد والعادات العربية الإسلامية.

١٢- وصدر قانون عام (١٥١٣م) يمنعهم من التجول في أنحاء اسبانيا أي الإقامة الجبرية ، إلا أن المرسوم لم يأخذ حيز التنفيذ الفعلي، لأن فرناندو كرس جهوده لتثبيت أركان مملكته وصراعه مع فرنسا، فضلاً عن عدم إثارة النبلاء الذين يعتمدون على الأندلسيين في إدارة أراضيهم الزراعية.

عندما تولت العرش الملكة خوانا المعتوهة لم تختلف سياستها المتبعة ضد الاندلسيين عن ما كانت عليه في عهد والديها الملكين الكاثوليكيين، بل كانت اشد واوسع ، فقد استغل الكاردينال خيمنس الظروف الصحية للملكة فكان هو المشرع والمنفذ للأوامر التي يصدرها بنفسه وما على الملكة إلا التوقيع عليها ، كانت الاوامر في عهدها أكثر شمولا لحياتهم الاجتماعية ، وكذلك لم تختلف سياسة الملك شارلكان والملك فيليب الثاني والملك فيليب الثالث عن سياسة الملوك الذين سبقوهم ، التي ختمت بقرار الطرد النهائي للأندلسيين من بلادهم في عهد الملك فيليب الثالث سنة ١٦٠٩م. لقد ذكر محمد عبده حتاملة في كتابه الاندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة تلك الاوامر بالتفصيل .

المحاضرة الثامنة: محاكم التفتيش

هي المحاكم الكاثوليكية التي عذبت كل من لا يؤمن بالدين المسيحي وفقا لمذهب الكاثوليكية، لقد تعرض المسلمون بعد انتهاء الحكم الاسلامي في الاندلس إلى التعذيب في سجون محاكم التفتيش بسب رفضهم ترك عقيدتهم الاسلامية حتى اضطروا للتظاهر باعتناقهم الديانة المسيحية ولكنهم ظلوا في السر محتفظين بعقيدتهم الإسلامية .

لم تكن تحتاج محاكم التفتيش إلى دليل لإثبات جرمٍ على الُمتَهم، فكان بإمكان أي شخص الافتراء على شخصٍ آخر بأنه ليس مسيحيّ لتبدأ محاكم التفتيش عملها من التعذيب والقتل. لقد تفننت تلك المحاكم بأساليب التعذيب وكانت تتم العملية ببطء شديد حتى يصل الى الموت.

كان لمحاكم التفتيش نوعين من السجون وهي :

١- النوع الأول هو السجن المفتوح، ويتألف من زنزانات مبنية حول فناء واسع، ويتمكن السجناء من التمتّع بقليل من الحرية فيه، ولكنّه شديد الحراسة .

٢- النوع الثاني هو السجن الانفرادي، يحتجز السجناء بشكل انفرادي ويقيّدون بسلاسل.

لقد استعملت محاكم التفتيش أساليب من التعذيب اقل ما يمكن وصفها بالوحشية، ولابد من الذكر ان أساليب التعذيب لم تكن تستعمل لقتل الضحية مباشرة ، ولكن للحصول على المعلومات. وجعل تلك التقنيات مؤلمة بشكل لا يصدق ، والموت هو المحطة الاخيرة .

وهناك مجموعة كبيرة من وسائل التعذيب منها:-

- الثور النحاسي

كان عقاب الثور النحاسي حبس الضحية داخله وإشعال نار حوله، كان الثور النحاسي تمثالًا نحاسيًا أجوفًا، مصنوعًا ليشبه ثورًا حقيقيًا، كان يُوضع الضحايا داخله، ثم تُشعل النيران حول الثور، وكان الضحية يتخبط ويصرخ من شدة الألم.

- كاسر الأصابع

توضح الأصابع بين فكّي هذه الاداة ويتمّ إغلاقها ببطء حتّى يُسمع صوت تهشّم عظام الأصابع وتفتت لحمها. وهي على انواع منها ما هو مخصص لسحق أصابع اليد وآخر لأصابع القدم.

- مسامير الإبهام

يتكون الجهاز من ثلاثة قضبان معدنية قائمة، توضع بينها إبهاما الإنسان. ينزلق قضيب خشبي على طول القضبان المعدنية، والنتيجة هو سحق الإبهامين بشكل مؤلم.

- الرف

أساس عملها يقوم علىُ ربط الضحية بالحبال على عجلة دوارة، مما يُمط جسد الضحية حتى تتخلع مفاصله. وقد يُؤدي الضغط المستمر إلى تمزيق الأطراف. وطريقة اخرى حيث يربط المتهم بعجلة وتحرك ثم تشعل النار أسفل العجلة حتى تطفى من غزارة الدماء التي نزفت من تمزقت أطراف الضحية.

- الحصان

هو جهازً خشبيً يشبه في شكله الحصان من صنف الرف . كان الضحية يُربط إلى عارضة في الأعلى (ظهر الحصان) متجهًا لأعلى. كانت البكرات الموجودة أسفله تُشد الحبال المثبتة في يدي الضحية وقدميه. كان يتم تمديده حتى تتخلع مفاصله.

- الحمار الإسباني

هو عبارة عن قطعة من الحديد حيث يجلس الضحية وهو عاري من ملابسه في اعلى القطعة، مع ربط قدميه بإثقال لسحبه للأسفل وتكون النتيجة انشطاره ببطء الى نصفين بعد مدة من الزمن.

- الربط إلى الأحصنة

حيث يُربط يدي ورجلي الضحية إلى حصانين أو جملين متعاكسي الاتّجاه ثم يؤمران بالانطلاق بأقصى سرعة مما يؤدي إلى تمزّق الضحية و انشطاره إلى نصفين.

- بوترو

من اصناف الرف المعتمد على سحب جسم الضحية الذي يُربط إلى سلم ويُسكب الماء باستمرار في فمه لمحاكاة الغرق.

- المخلعة

صممت من اجل تمزيق جسد الضحية عن طريق ربط الضحية المستلقي من اطرافه بمجموعة من البكرات التي تدار بشكل متعاكس فتعمل على شد جسده حتى يتمزق

- العجلة

يربط الضحية بالعجلة الخشبية الكبيرة، ثم دفعها إلى أسفل منحدر صخري. أو تثبت على إطار يسمح لها بالتأرجح فوق النار مع وجود مسامير على العدلة ، أو العجلة تدور على محور مع ضرب الضحية بقضيب من الحديد لتحطيم عظامه، ومن ثم تترك العجلة في الشمس لأيام قد يبقى الضحية على قيد الحياة لساعات، لتحقيق ألم اكثر قبل موته .

- عجلة كاثرين

وتعرف باسم "عجلة السّحق" أو "عجلة كاثرين" ، عجلة خشبية، حيث المسامير الطويلة المثبتة على الآلة، وتستعمل بطرق متنوعة لتحقيق اقسى درجة من الالم والعذاب للضحية، أحيانا يُربط الضحية بشكل منحن على حافتها الدائرية ثم يدفع من على جبل صخري، واحيانا يتم تثبيتها على الأرض بشكل أفقي ويُربط الضحية عليها ثمّ يبدأ الجلادون بتهشيم جسده باستعمال المطرقات الحديدية الضخمة والكلاليب، وأحياناً يُثبّت الضحية في طرفها بشكل منحني ثمّ تُدخل قضيب معدني في وسطها حتّى تستطيع الدوران بسهولة وبعدها يتم جلب الكلاب أو الذئاب الجائعة ويتمّ تدوير العجلة باستمرار بعد أن تضرم النيران تحته. فيضاف الى عذابه عذاب اخر هو الحرق مع الكلاب الجائعة التي تنهش لحمه ، وطريق اخرى في استعمال عجلة كاثرين حيث يستلقي الضحية على العجلة بشكل أفقي مع الضرب حتى تتهشم مفاصله وعظامه ، ثم تثبت العجلة على وتد ويبقى الضحية في الشمس حيث يجتمع عليه الذباب والحشرات المختلفة. ويبقى هكذا حتى يصل الى الموت .

- الحرق

حيث تتخذ إجراءات تقتضي بتقييدهم على أعمدة خشبية وإيقاد النار من حولهم ليحترقوا

- المرشّة الحديدية :

تُملأ المرشة بالرصاص المنصهر أو الزيت المغلي وتصبّ على جسد الضحية ، وهذه الالة في العادة تستعمل لرش الماء المبارك في الاماكن الدينية، ولكن محاكم التفتيش جعلتها الة للتعذيب.

- التابوت الحديدي

الذي يحتوي في داخله على مسامير مثبته بطريقة هندسية فلا تمس الاعضاء الحيوية مثل القلب للحيلولة دون الموت السريع فضلا عن التغليف الداخلي بطبقة من خشب الفلين لمنع وصول الصوت وبعض الانواع يحتوي على مسمارين لاختراق العينين .

- مهشّم الرأس

اسم الاداة يشرح عملها حيث يوضع رأس الضحية على القضيب السفلي، ثم يبدأ الجلاد بتدوير اللولب لضغط على الرأس.

- الإجاصة

التسمية من الشبه الشكلي مع الإجاص، مكونة من اربعة اجنحة حديدية تغرس في جسد الضحية وتفتح عن تدوير مفتاح في اخرها مسببة تمزق داخلي في الجسم .

- كرسي محاكم التفتيش

هو كرسي من الحديد مكون من ١٣٠٠ مسمار يجلس الضحية بعد ربطه عاريا مع وضع اثقال فوق جسمه فتنغرس المسامير في جسمه ، مع تسخين الكرسي لمضاعفة العذاب الذي ينتهي بالموت .

- النشر بالمنشار

يعلق الضحية بشكل مقلوب مع ربط اقدماه بشكل متباعد ، ومن ثم يبدأ النشر لشق الضحية الى نصفين .

- الخازوق

وتد مثبت على الارض نهايته حادة، يجلس الضحية فوقه بعد ان يربط لمنع انزلاقه، حيث يدخل الخازوق في جسمه ببطء حتى يصل للموت بعد اكثر من اسبوع .

- التعذيب بالجرذان

حيث يتمّ تجويع الجرذان لعدّة أيام ثم يؤتى بالضحية عارياً بعد دهنه بمادّة حلوة مثيرة لشهيّة الجرذان.

بالتأكيد هناك أدوات أخرى وأساليب أخرى، وما ذكرناه كان بعضاً من فنون التعذيب التي مارستها محاكم التفتيش بكل قسوة و وحشية و بشاعة ، ولا يمكن ان نجد له تبرير غير التعصب الديني والعنصري .

المحاضرة التاسعة : أهم المعارك في تاريخ الأندلس .

شهد تاريخ الأندلس سلسلة من المعارك التي لم تكن مجرد اشتباكات عسكرية، بل كانت نقاط تحول مصيرية. يمكن تقسيما على ثلاث مراحل رئيسة:

مرحلة الفتح والتأسيس، مرحلة الصمود والازدهار، ومرحلة السقوط والانتهاء

١- مرحلة الفتح والتأسيس

- تعد معركة وادي لكة والتي تسمى ايضا (شذونة ، برباط ، الخندق ، شريش) من أهم المعارك التي حدثت في (رمضان ٩٢ هـ / ١٩ حزيران ٧١١ م) واستمرت ثمانية ايام على ضفاف نهر وادي لكة (قرب مدينة قادس حاليًا) في جنوب الأندلس ، قاد المسلمون طارق بن زياد، وقاد القوط الغربيون ملكهم لذريق ، انتصر المسلمون فيها ، ومن بعدها أصبح الطريق مفتوحًا أمام طارق بن زياد وموسى بن نصير لفتح المدن الكبرى ، وتلك المعركة كانت نقطة تحول فاصلة في تاريخ الأندلس .

٢- مرحلة الصمود والازدهار

شهدت هذه المرحلة العديد من المعارك التي كان الهدف منها تثبيت أركان الدولة الإسلامية في الأندلس، أو صد هجمات الممالك المسيحية المتصاعدة.

- معركة بلاط الشهداء (تور): (١١٤هـ/ ٧٣٢ م)

حدثت المعركة بالقرب من مدينة بواتييه الفرنسية، بين جيش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي وجيش الفرنجة بقيادة شارل مارتل. انتهت بهزيمة المسلمين ومقتل قائدهم. ولكن لهذه المعركة اثر كبير ، لكونها نقطة تحول في تاريخ أوروبا، حيث أوقفت الزحف الإسلامي شمالًا، وحددت حدوده الشمالية في الأندلس.

- معركة الزلاقة) : ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م)

حدثت بين يوسف بن تاشفين بقواته والتقى بجيش ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون في سهل الزلاقة. انتهت هذه المعركة بالانتصار، وأدت إلى توحيد الأندلس تحت راية المرابطين لقرنين من الزمن .

- معركة الأرك (٥٩١هـ/ ١١٩٥ م)

شهدت هذه المعركة انتصاراً كبيراً للموحدين بقيادة يعقوب المنصور على جيوش قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن ، لقد أعادت هذه المعركة هيبة المسلمين في الأندلس، وأعادت بعض التوازن للقوى، وساعدت في استقرار حكم الموحدين في الاندلس .

- معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢ م)

في هذه المعركة اشتبك جيش الموحدين مع تحالف الممالك المسيحية الأيبيرية (قشتالة، أراغون، ليون، نافارا، والبرتغال). وانتهت المعركة بهزيمة للمسلمين، ومن بعدها بدأت المدن الأندلسية تتساقط الواحدة تلو الأخرى .

٣- مرحلة السقوط والانتهاء

نجحت الممالك المسيحية في السيطرة على الأراضي الأندلسية تدريجيا وتقلص النفوذ الإسلامي حتى لم يبقى غير مملكة غرناطة. وكانت البداية مع الحصار لآخر معاقل المسلمين في الأندلس، وبعد سبعة اشهر قرر اخر حكام غرناطة أبو عبد الله الصغير تسليم المدينة لملكي قشتالة وأراغون فرديناند وإيزابيلا. كان تسليم غرناطة في(٨٧٩هـ/ ١٤٩٢م) هو النهاية للحكم الإسلامي في الأندلس.

المحاضرة العاشرة : مميزات الحضارة الأندلسية

تميزت الحضارة الأندلسية، التي ازدهرت في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال حالياً) تحت الحكم الإسلامي ، بكونها منارة للعلم والفن والتعايش، تاركةً بصمة لا تُمحى في تاريخ البشرية ومن ابرز مميزات تلك الحضارة .

١- الازدهار العلمي من أبرز مميزاته :

- الترجمة والنهضة الفكرية: أولى حكام الأندلس اهتماماً كبيراً بالترجمة، فنقلوا آلاف الكتب اليونانية والرومانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية. لم تكن هذه الترجمة مجرد نقل حرفي بل كانت مصحوبة بالتحليل والنقد والإضافة مما أثرى الفكر الإسلامي ومهد الطريق لنهضة علمية غير مسبوقة.

- العلوم: برع العلماء الأندلسيون في مجالات متعددة منها: الطب فقد أسسوا المستشفيات وطوروا الجراحة، وقدموا مساهمات في الصيدلة، ويعد ابن زهر أنموذجاً للأطباء الأندلسيين، كما كان لهم اثر في علم الفلك حيث بنوا المراصد، وحسبوا محيط الأرض، وألفوا الزيجات الفلكية، ومن العلماء نذكر الزرقالي وابن باجة على سبيل المثال وكان لهم دور في الرياضيات حيث أدخلوا الأرقام الهندية (الأرقام العربية المستخدمة حالياً) ومفهوم الصفر وطوروا علم الجبر والمثلثات.

- المكتبات والمراكز التعليمية: كانت قرطبة وغرناطة وإشبيلية مراكز ثقافية وعلمية مزدهرة تضم مكتبات ضخمة، مثل مكتبة الخليفة الحكم المستنصر بالله في قرطبة التي قيل إنها احتوت على مئات الآلاف من الكتب. كما انتشرت المدارس والجامعات التي جذبت الطلاب من جميع أنحاء مختلفة .

٢- الإبداع الفني والمعماري

ازدهرت الحضارة الأندلسية بفنونها وعمارتها التي لا تزال آثارها شاهدة منها :

- العمارة الإسلامية الأندلسية: تميزت العمارة في الأندلس بمزجها بين التأثيرات الإسلامية والمحلية فنتج عنها نمط يعتمد على الأقواس المتنوعة (حدوة الفرس، المفصصة)، والزخارف الهندسية والنباتية (الأرابيسك)، والخط العربي. من أبرز الأمثلة على ذلك جامع قرطبة الكبير، وقصر الحمراء في غرناطة الذي يمثل تحفة فنية تتسم بالجمال الهندسي، والنقوش البديعة، والحدائق الغناء.

- الفنون الزخرفية: ازدهرت صناعة الفسيفساء، والنقش على الخشب والمعادن، والخزف، والسيراميك الملون (الزليج). كما تطورت فنون النسيج وصناعة الأقمشة الفاخرة، .

٣- الموسيقى والشعر:

كانت الأندلس مركزًا للموسيقى، حيث تطورت الألحان والآلات الموسيقية، وظهرت مدارس موسيقية مثل مدرسة زرياب. كما ازدهر الشعر بشكل كبير، وظهر شعراء كبار مثل ابن زيدون وولادة بنت المستكفي، الذين أثروا الأدب العربي بقصائدهم العذبة .

٤- التسامح والتعايش الثقافي

من مميزات الحضارة الأندلسية هو روح التسامح والتعايش بين الأديان والثقافات المختلفة فقد عاش المسلمون والمسيحيون واليهود في الأندلس جنباً إلى جنب، حيث سمح لكل جماعة بممارسة شعائرها والحفاظ على ثقافتها.

٥- نموذج للتحضر:

قدمت الأندلس أنموذجاً للمدن المتحضرة التي تتميز بالنظام والتخطيط العمراني، وتوفر المياه النقية، والمرافق العامة، مما جعلها محط أنظار العالم ومثالًا يحتذى به في التطور والتقدم.

لقد كانت الأندلس جزءً أساسياً من الدور الحضاري للمسلمين في بناء الحضارة البشرية، فهي الحضارة التي نجحت في صهر كل العناصر التي انطوت تحت لوائها لتنتج علماء وفلاسفة وفقهاء وشعراء جسدوا الوحدة الثقافية فحملوا مشعل العلم والتطور باسم الحضارة الإسلامية ، وما زالت تلك الحضارة حاضرة في آثارها المعمارية والزراعية والطبية في مختلف أنحاء الأرض .

كان للحضارة الإسلامية عدة معابر إلى أوروبا، وكان من أهمها الأندلس وصقلية والحروب الصليبية، ومن تلك المعابر انتقلت جوانب من الحضارة العربية الإسلامية، لتكون بذلك حجر الأساس في نهضة الحضارة الغربية، وإن كانت الأخيرة لا تعترف بذلك إلا أن الشواهد التاريخية تبقى دليلاً لا يمكن نكرانه. ويبقى طريق الأندلس أهم تلك المعابر وأجدرها، وأكثفها من حيث النتائج والآثار.

وعلى الرغم من سقوط الاندلس سياسياً في سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م ، بيد أنها كحضارة استمر إشعاعها ينير الأصقاع . فمن خلالها انتقلت الى أوروبا العادات والتقاليد العربية الإسلامية، فقد تأثرت الأزياء الأوروبية بالملابس العربية الإسلامية، وكانت مدينة غرناطة مركزاً مهماً لتزويد أوروبا بالأنسجة المعروفة بالـ "غرنادين " وكان الطلب على تلك المنسوجات ذات الألوان الزاهية والرسوم الهندسية والنباتية المختلفة في أوروبا كبير، إذ دخلت حتى في ألبسة رجال الدين وحفظ آثار القديسين ، وكذلك في ملابس الطبقة الأرستقراطية، فصنعوا من تلك الأقمشة جبب.

وفي الأكل والطبخ كان هناك الكثير من العادات الغذائية وأنواع من الطعام وجدت طريقها من الممالك والمدن الأندلسية إلى المائدة والمطبخ الأوروبي، حتى أصبح الذوق الأندلسي هو السائد في أوروبا .

وفي مجال الزراعة، ولاسيما في عهد عبد الرحمن الناصر كانت الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس زاهية وأثارت إعجاب أوروبا، فمنها دخلت زراعة النخيل الى أوروبا، وزراعة الرمان، كما نقلوا الكثير من النباتات والأساليب الزراعية من المشرق مثل زراعة الأرز والقطن والمشمش والخوخ والنارنج والبرتقال وقصب السكر والزعفران . وسعى العرب الى إدخال أفضل أنواع الطرق والأساليب الزراعية، فاهتموا بدراسة أنواع التربة وأنواع السماد وطرق الغراسة واختيار البذور وأساليب السقي وأنظمة الري التي لا يزال قسم منها باقياً في بعض المدن الاسبانية ، منها

بساتين البرتقال في مدينة بلنسية التي تسقى من الاقنية التي أنشأها العرب منذ أكثر من ألف سنة، فضلاً عن أن العرب نجحوا في تركيب وتطعيم الأشجار لتثمر عن نوعين من الثمار، مثلا تركيب شجرة العنب مع شجرة التفاح . كما كان لهم أساليبهم في حفظ الفواكه الطرية والمجففة .

كذلك اهتم علماء الزراعة العرب في الاندلس بزراعة الزيتون فكانت لهم خبرة واسعة في العناية بزراعة الزيتون، ويتضح ذلك من خلال ما حوته كتبهم الزراعية والتي من خلالها يظهر ما وصل إليه العرب في الاندلس من التطور في استخدام الأساليب الجيدة لزراعة الزيتون.

إن دخول النباتات والأشجار الجديدة الى أوروبا وكذلك الصناعات الغذائية، أثرت في الأطعمة والطبخ الأوروبي . فقد ذكر ابن جبير أن حاكم صقلية جعل أمور مطبخه إلى رجل مسلم. وقد اهتم الملوك الاسبان بطيبات الطعام، والتفنن باستعماله، وهو أمر مقتبس من مسلمي الأندلس، الذين تركوا أكثر من كتاب في الطبخ.

وهناك من المفردات العربية التي دخلت على اللغة الاسبانية للتعبير عن أسماء نباتات ولا تزال منها : الأرز ، السكر، والزيت، فضلاً عن الموازين والمقاييس.

وفي مجال التعليم كانت الأندلس بحواضرها قرطبة، وغرناطة، وأشبيلية، وسرقسطة، وطليطلة مركزاً لجذب طلبة العلم من أوروبا، ومن هؤلاء البابا سلفستر الثاني الذي اهتم بالعلوم الرياضية. كذلك هرمان الكسيح وهو ابن أمير دالماسيا الذي اهتم بكتب الرياضيات والتنجيم . فضلاً عن البعثات العلمية من أوروبا الى الاندلس، ففي عهد الخليفة الناصر وصل زهاء سبعمائة طالب وطالبة لطلب العلم، فضلاً عن بعثة برئاسة الأميرة اليزابيث ابنة خال الملك لويس السادس ملك فرنسا، وبعثة فيليب ملك بافاريا برئاسة وزيره ويلمبين الذي يسميه العرب وليم الأمين، وكانت تتكون من (٢١٥) طالب وطالبة انتشروا في أنحاء الأندلس، وثمانية من أعضاء هذه البعثة اعتنقوا الإسلام ورفضوا العودة إلى بلادهم، ومن بينهم ثلاث فتيات، وبعثة ملك ويلز برئاسة ابنة أخيه، وتضم (١٨) فتاة من بنات الأشراف، وكانت البعثة برفقة النبيل سفيلك رئيس موظفي القصر في ويلز، واتجهت إلى مدينة أشبيلية، وحظيت باعتناء من قبل خليفة الأندلس الذي أمر بالإنفاق عليها من بيت مال المسلمين.

أما عن حركة الترجمة للكتب العربية في العلوم المختلفة فقد غدت نشطة جداً، وكانت مدينة طليطلة محطة مهمة جداً في هذا المجال، لتأتي بعدها إنشاء الجامعات منها جامعة نابولي التي غدت مركزا لنقل العلوم العربية، وجامعة اشبيلية، التي خصصت لدراسة العربية واللاتينية. وبذلك أثرت العلوم العربية المختلفة في تكوين الفكر الأوروبي في مختلف ميادينه. حتى في أساليب التعليم والدراسة فإن الأسلوب العربي الإسلامي في التدريس وأماكن الدرس كانت من الأمور المهمة التي نشطت الحركة العلمية في أوروبا.

لقد أثرت الأندلس بحضارتها في المدارس الأوروبية التي أصبحت مقلدة في أنظمتها للمدارس العربية ، من حيث الملابس ، وفي منح الإجازات . وبعد أن ارتوت أوروبا من الحضارة العربية الإسلامية عن طريق الأندلس، بدأ فيها في أواخر القرن الخامس عشر ، وأوائل القرن السادس عشر عصر جديد هو عصر النهضة في أوروبا الذي امتاز بالابتكارات العلمية ، والذي كانت إحدى ركائزه تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس .

وفي مجال الطب كان الزهراوي في المقدمة، فقد اشتهر بعلم الجراحة، وله الريادة في استعمال ربط الشريان لمنع النزيف، ومن أشهر كتبه كتاب التعريف لمن عجز عن التأليف، وهو كتاب عام في الطب، وفيه بين الزهراوي أن الجراحة علم مستقل بذاته، ومتصل بالتشريح، وبقي كتابه يدرّس في جامعات أوروبا، مثل سالرنو ومونبيليه حتى القرن السابع عشر، وقد طبع كتابه باللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر، وكان أسلوبه في جراحة المثانة وإخراج الحصاة دروساً متداولة بين طلبة كلية الطب وأبناء صناعته، ويعرف الزهراوي عن اللاتين باسم (أبو لكسيس)، وكذلك ابن خاتمة الذي كتب عن الطاعون الذي اجتاح المرية في اسبانيا ١٣٤٨-١٣٤٩م ، ويعد من أعظم الكتب في هذا المرض في أوروبا بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر الميلاديين.

وكانت البيمارستانات منتشرة في البلاد الإسلامية، إذ تحولت إلى كليات للطب، يفد إليها الطلاب من كل ناحية، ولاسيما في الأندلس، إذ وفدت أعداد كبيرة من أوروبا لتعلم علوم الطب على يد الأطباء المسلمين، قبل أن يؤسس الأوروبيون المدارس الطبية التي ألحقت بها المستشفيات .إن هؤلاء العلماء أنموذج للذين تركوا آثاراً مهمة في العلوم الطبية، وهي صورة كان لهم الأثر البالغ في تطور هذا العلم في أوروبا .

وإن ما ذكر إنما هو جزء بسيط مما وصل إلى أوربا عن طريق الجسر الأهم للتواصل الحضاري بين الحضارة الإسلامية وأوروبا، ألا وهو الأندلس.

باختصار، كانت الحضارة الأندلسية مزيجاً فريداً من الإبداع العلمي، والفني، والثقافي، والتسامح، مما جعلها واحدة من أزهى صفحات التاريخ الإنساني، وما زالت مساهماتها تلهم الأجيال حتى يومنا هذا.